

دور الاستعمار في تشكيل النخب السياسية في الدول النامية The role of colonialism in shaping political elites in developing - the case of Algeria – countries



رانجة زكية

¹ جامعة الجزائر 03 ، (الجزائر)

z_randja@hotmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/10

تاريخ القبول: 2026/05/26

تاريخ الارسال: 2026/03/04

ملخص: اهتمت هذه الدراسة بمدى تأثير الظروف الاستعمارية على افراز أنماط جديدة من النخب السياسية التي تباينت في مرجعياتها الفكرية ومواقفها من الوجود الاستعماري، وذلك من خلال تحليل السياق التاريخي الذي تشكلت فيه هذه النخب السياسية والتي تباينت بين نخب إصلاحية سعت إلى التغيير التدريجي عبر العمل السياسي والقانوني، ونخب وطنية ثورية تبنت خيار المقاومة والتحرر الكامل، إضافة إلى نخب اندماجية راهنت على الإصلاح في إطار المنظومة الاستعمارية، والتي في الأخير ساهمت كلها في بلورة الوعي الوطني وبناء المشروع التحرري، وتوحدت في إطار التحضير للثورة الجزائرية وتأسيس الدولة الوطنية بعد الاستقلال،

الكلمات المفتاحية: النخب السياسية؛ الحركة الوطنية؛ الاستعمار الفرنسي؛ المقاومة السياسية

الجزائرية؛ التاريخ السياسي للجزائر.

تصنيف جال: N970

Abstract: This study focused on the extent of the impact of colonial conditions on the emergence of new patterns of political elites, which varied in their intellectual references and their stances on colonial presence. This was achieved by analyzing the historical context in which these Algerian political elites were formed, varying between reformist elites who sought gradual change through political and legal action, and revolutionary national elites who adopted the option of resistance and complete liberation, in addition to integrationist elites who gambled on reform within the colonial system. All of these ultimately contributed to the crystallization of national consciousness and the building of the liberation project, and united in the framework of preparing for the Algerian Revolution and establishing the national state after independence.

key words: Algerian elites ; national movement ; French colonialism in Algeria ; political resistance in Algeria ; political history of Algeria.

JEL classification: N970

مقدمة:

تعدّ دراسة النخب السياسية خلال فترة الاستعمار الفرنسي مدخلاً أساسياً لفهم التحولات العميقة التي عرفتھا المجتمعات على المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية. فقد أسهمت الظروف الاستعمارية، بما حملته من سياسات إقصاء وتهميش وهيمنة ثقافية واقتصادية، في إعادة تشكيل البنية الاجتماعية، وأفرزت أنماطاً جديدة من النخب السياسية التي تباينت في مرجعياتها الفكرية ومواقفها من الوجود الاستعماري.

وقد تشكّلت هذه النخب في سياق تاريخي معقّد، تداخلت فيه العوامل الداخلية المرتبطة ببنية المجتمع الجزائري التقليدية، مع العوامل الخارجية الناتجة عن المشروع الاستعماري الفرنسي، خاصة في مجالات التعليم والإدارة والقانون. وانقسمت النخب السياسية الجزائرية خلال هذه المرحلة بين نخب إصلاحية سعت إلى التغيير التدريجي عبر العمل السياسي والقانوني، ونخب وطنية ثورية تبنت خيار المقاومة والتحرر الكامل، إضافة إلى نخب اندماجية راهنت على الإصلاح في إطار المنظومة الاستعمارية. وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل ظروف نشأة النخب السياسية إبان فترة الاستعمار، وتتبع مسارات تطورها، والكشف عن أدوارها المختلفة في بلورة الوعي الوطني وبناء المشروع التحرري، مع إبراز إسهامها في التحضير للثورة الجزائرية وتأسيس الدولة الوطنية بعد الاستقلال، حيث نحاول تحليل عملية بناء النخب في ظلّ نظام التّعليم الاستعماريّ. كما سعت الدراسة إلى اكتشاف الآليات الموضوعية والشكلية التي اتبعتها المستعمر بهدف تثبيت الاندماج واثمين التّغريب في المجتمع الجزائري. حيث يعد موضوع النخب في غاية الأهمية خاصة في الجانب السياسي فالأهم تقاس بنخبها، وللنخب التأثير الأهم في نهضة الأمة؛ ولذا كانت صناعة الإنسان - علماً وثقافةً - أمراً اهتم به القادة في التاريخ القديم والمعاصر. ولطالما ارتبط تاريخ الجزائر وتاريخها ارتباطاً وثيقاً برجالها وقاداتها. ومنه فان الدراسة انطلقت من الإشكالية التالية:

- كيف كانت نشأة النخب السياسية في ظل الاستعمار الفرنسي؟ وفيما تمثل دور هذا الأخير في تشكيل وعمل هذه النخبة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم صياغة الفرضيات التالية:

- كان للاستعمار الفرنسي دور أساسي في بناء النخب السياسية .
- نجح المستعمر الفرنسي في استغلال النخب السياسية لمساندة مشاريعه وسياساته الاستعمارية

وللتحقق من صحة او خطأ هذه الفرضيات تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل ظاهرة النخب السياسية في الجزائر في عهد الاستعمار وتحليل علاقتها بكل من المجتمع الجزائري

والمستعمر الفرنسي وكذا علاقة النخب المختلفة ببعضها، إضافة الى استخدام المقاربة التاريخية والتي أساسية لمعالجة طبيعة الموضوع التاريخية إضافة الى اتباع منهج دراسة الحالة وذلك بما ان الموضوع انطلق من تأثير الاستعمار بصفة عامة على تكون النخب السياسية في الدول النامية وخص بالتحليل حالة الجزائر.

1.اليات تشكل النخب السياسية في الدول النامية

ان موضوع النخبة حظي ولعقود طويلة من الزمن باهتمام بالغ من الباحثين والفلاسفة والمفكرين في علوم التاريخ والسياسة والقانون وكذا العلوم الاجتماعية وغيرها وكان ذلك مع أوائل الفلاسفة كأفلاطون الذي يتحدث عن طبقة الحكماء وابن خلدون وحديثه عن العصبية وغيرهم حيث اهتم المفكرون بموضوع النخب وحيازتها للسلطة والقوة داخل المجتمعات وإذا أردنا تحديد الإطار النظري لما يسمى بنظرية النخبة والتي تشكلت نتيجة لمساهمات نظرية مختلفة نجد أبرزها فيما يلي:

1.1الاتجاهات النظرية المفسرة للنخب:

عند تناول موضوع النخب نجد انه موضوع شاسع ومتشعب ويمكننا تلخيص اهم التوجهات النظرية المفسرة لموضوع النخب فيما يلي (عباش، 2024، صفحة 19):

- الاتجاه السيكلوجي لفريدو باريتو: والذي ميز بين شكلين من النخب: نخب حاكمة لها دور بارز ومباشر في المجتمع ونخب غير حاكمة لها مكانة خاصة وقدرات عديدة لكنها ليست في مركز القوة والسلطة بشكل مباشر
- الاتجاه التنظيمي لجيتيانو موسكا: والذي يرى ان النخبة تمثل اقلية تنتسب الى طبقة اجتماعية مسيطرة تمتلك السلطة والقوة وتؤثر بتوجهاتها وافكارها على الأغلبية وهي بقوتها تحافظ على تماسك الأنظمة الاجتماعية والسياسية
- الاتجاه المؤسسي رايف ميلز: والذي يرى ان قوة النخبة ترتبط بقوة المؤسسات العسكرية والتنفيذية والسياسية وهذا من خلال الاتصال الفعال والتنظيم المؤسسياتي الجيد والذي يكون في المجتمعات المعاصرة
- الاتجاه الاقتصادي الإداري لبرنهام: والذي فسر النخبة من خلال البعد الماركسي وحددها في الطبقة الحاكمة التي تستمد سيطرتها السياسية من خلال ملكيتها لوسائل الإنتاج وتسود المنافسة ما بين الأطراف المالكة للقوة الاقتصادية وعلى أساسها تتحدد الفئة المسيطرة على العملية السياسية

وعلى اختلاف الاتجاهات السابقة وتفسيرها للنخبة يمكن على نطاق عام وصف النخب على انها ظاهرة مقترنة بالجماعة التي لها القدرة على صنع القرار والتأثير على الآخرين والتي تمتلك من الصفات والمميزات والمؤهلات ما يميزها عن غيرها كما ان نطاق تأثير النخبة قد يكون نسبيا ومحدودا في مجال معين وهذا يعني انه قد تكون وفي الدولة الواحدة مجموعة من النخب في مجالات متنوعة: نخبة عسكرية، دينية، ثقافية، عسكرية، وغيرها

ولاكتشاف العلاقة بين الشخص والبنية التي تضمه قام بورديو بتفكيك البناء الاجتماعي الى مجموعة من المجالات: المجال السياسي، الاجتماعي، الثقافي، الديني، الخ كل مجال منها يحتاج الى راس مال نوعي مختلف ويتراتب الفاعلون داخل هذا المجال وفقا للقدرة المتفاوتة بينهم بتفاوت راس المال النوعي الذي يمتلكونه وهذا ما يحدد علاقة القوة والمكانة داخل المجال (بورديو، 2002، صفحة 33).

2.1 النخبة والدولة:

يبرز دور الدولة الأساسي في كونها تحدد اليات الضبط السياسي والاجتماعي وتضبط علاقة القوة داخل المجتمع ككل بين الافراد والجماعات وذلك في اطار القانون ووفق القواعد القيمية للمجتمع اذ تعمل السلطة من خلال جهاز الدولة على احتكار هذا الحقل الأيديولوجي وملئه بالرموز التي تسعى الى تسويقها وترويجها حتى تضمن بذلك اندماج كل فئات المجتمع وفي ذات السياق يرى الدكتور عبد السلام فيلاي ان الدولة كمنظمة قانونية تؤكد على حضورها في مختلف مجالات الحياة وهي حاضنة لكل السلطات وبواسطتها تربي كل أنواع الخضوع كما انها تتحدد كمؤسسة المؤسسات، ففيها تنصهر كل المرجعيات الاجتماعية المتجانسة منها والمتناقضة وعندما تخرج الأفعال نظريا من مجال العلاقات الشخصية التي تصير افعالا ذات دلالة قيمية تحصر كل المواقف الاجتماعية في قوالب الضبط والرقابة وقد اكد ارسطو على هذا الترابط حينما رأى ان الدولة هي صورة النظام الاجتماعي سواء ما تعلق منه بالمؤسس والمماسس.

وبالتالي فان سلطة الدولة تلعب دورا حاسما في إعادة هيكلة العلاقات الاجتماعية وإعادة بناء الهويات الفردية والجماعية، كما بينت ان ظهور الدولة/ الامة قد اثرت على هيكلة اشكال الهيمنة الاجتماعية (الشاهر، 2018، صفحة 34).

3.1 النخب في الدول النامية:

عند الحديث عن النخب في الدول النامية فان الحديث يقود الى خصائص التشكيلة الاجتماعية لهذه الدول وخاصة تفاعلها مع الخصائص الأساسية للأنساق التي تنشأ وتشكل وتعمل فيها نقصد بذلك خاصة: النسق الاقتصادي والنسق السياسي الأيديولوجي الذي يميز الدول النامية عن الدول الرأسمالية المتقدمة ويؤثر على شكل النخب فيها:

أ- النسق الاقتصادي ونمط الإنتاج:

يعبر النسق الاقتصادي عن طبيعة العلاقة الاجتماعية الخاصة بعملية الإنتاج ويخضع الى طبيعة العلاقة الملكية السائدة وحقوقها الاجتماعية والى شكل علاقات الإنتاج القائمة وبالنسبة للدول النامية يوجد أنماط انتاج في الغالب غير مستقرة تتمثل فيما يلي:

- **نمط الإنتاج القطاعي:** وهو من أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية والتي تمت تصفيتها عبر عقود من الزمن في العديد من الدول النامية لكن بشكل مختلف عن تصفيتها في التجربة الأوروبية والتي انتقلت الى نمط الإنتاج الرأسمالي بتطوير علاقات الإنتاج نتيجة الثورة الصناعية.
- **نمط الإنتاج الريعي:** وهذا النمط ينتشر في معظم البلدان النامية لكونها تعتمد على انتاج المواد الأولية وينتج عنه هيمنة شرائح طبقية عديدة ومنها الدولة على الموارد الأولية ومع وجود هذا النمط تهيم على النسق الاقتصادي علاقات التوزيع بدل علاقات الإنتاج .
- **نمط الإنتاج الرأسمالي:** شهدت الدول النامية هذا النمط تحت تأثير انخراطها بالسوق الرأسمالية الدولية الا انه النمط الأقل بروزا كما انه لم يكتب بعد خصائص وشروط عمله داخل التشكيلات الاقتصادية-الاجتماعية للدول النامية.
- **نمط انتاج رأسمالية الدولة:** يمثل هذا النمط من اهم الأنماط الإنتاجية في البلدان النامية كسلطة مارست أدوار القطاع الخاص وهذا ما أدى الى تشويه هيكل الاقتصاد حيث حصر توجيه الفائض الاقتصادي في يد الدولة التي مارست سلطة الاكراه الاقتصادي في إدارة الاقتصاد المحلي.

ب- النسق السياسي والأيدولوجي:

يقوم النسق السياسي في البلدان النامية على القوة المؤسسية للدولة والذي يتميز بعدم الاستقرار ويخضع لعوامل الصراع في البنية الطبقية والاجتماعية السائدة في هذه الدول، وبالنسبة للنسق الأيدولوجي فنجد ان الدولة في البلدان النامية تخضع لتأثير علاقتها بالنخب المسيطرة فهي تصبح أداة مهمة في نشر إيديولوجية هذه النخبة حيث يكون لها القبول العام وتكتسب هذه الأيدولوجية طابعا جماعيا وتصور على انها إيديولوجية قومية تعبر عن جميع فئات المجتمع ويمثل النسق الأيدولوجي عامل تلاحم بين النخب المختلفة في المجتمع: اقتصادية واجتماعية ودينية وغيرها، ومنذ فترة استعمار هذه الدول وحتى استقلالها نلاحظ ازدواجية إيديولوجية للنخب في الاتجاهين: اتجاه تقليدي محافظ واتجاه علماني حديث، وعموما فان الدولة كوسيلة لخلق التكامل الاجتماعي دمجت بين دعم الأيدولوجية ودعم التنمية لتبرير استمرار هيمنة فئة معينة في إدارة الفعالية السياسية والاقتصادية

كما تقوم النخب السائدة في معظم الدول النامية بأدوار مختلفة تصب في السياق التنموي، سواء ذلك في الجانب السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي

4.1. تشكل النخب في الدول النامية ودور الاستعمار:

كان الاستعمار ظاهرة سياسية واجتماعية انتشرت في الكثير من دول العالم الثالث خاصة وكان له الأثر الواضح على هذه الدول وهذه المجتمعات في تشكيل البعد الثقافي والسياسي وصياغة هذه الدول وهذه المجتمعات في تشكيل البعد الثقافي والسياسي وصياغة هذه الدول وطبيعة وحكما ووضعت الدول المستعمرة خططا استراتيجية كان الهدف منها خلق مواطنين غربيين جدد يعتبرون نخبا في هذه الدول المستعمرة وذلك من خلال الاعتماد على نفوذ التعليم الاستعماري وهذا ما أدى في هذه الدول الى تشعب الثقافات وازدواج الهويات (الحسيني، 2025، صفحة 11)

فاعتمدت الدول الغربية على ربط الدول النامية بها من خلال التحكم في القانون والإدارة وجعله امتدادا لأنظمتها ولاعتماد التعليم لتكوين النخب تشابههم فكرا وثقافة ويدافعون عن مصالح المستعمر ويعملون على ترويج اراث الاحتلال المعرفي وكل ذلك في سبيل ضمان استمرارية الهيمنة وعرقلة التحرر الإنساني بكل اشكاله.

ويعتبر التعليم هو الالية الأكثر فعالية في بناء النخب وتمحور الهدف الأساسي للتعليم حول الانتقال من الجهل الى العلم وفي الوقت الذي كانت فيه المجتمعات في الدول النامية تحضى بالتعليم الديني او التقليدي قبل الاستعمار وبدلا من ذلك وضع المستعمر المدارس الاستعمارية لتقلص دور وحجم التعليم التقليدي والدور الكبير الذي كان يؤديه خاصة في المجتمعات المسلمة اين كانت تنتشر المساجد والزوايا.

ومؤشرات التاريخ الاجتماعي والسياسي تظهر مدى ارتباط عملية لتكوين العلمي بالتأهيل السياسي ولذلك نجد اغلب خريجي المدارس من ذوي الواجهة السياسية والنشاط السياسي وعلى ذلك فقد عملت المدارس الاستعمارية القديمة على تثبيت معايير خاصة من خلال الاستقطاب لتسود ثقافة المستعمر الغربية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وهكذا فقد عانت النخب المتعلمة من الشباب في المجتمعات النامية خاصة الافريقية منها ومنها الجزائر من الفجوة المتزايدة بين الهوية التي تنتجها المناهج الدراسية والهوية الحية الموجودة على الساحة الاجتماعية (كان، 2021).

فقد قدم نظام التعليم الاستعماري بجهد كبير في وضع مناهج تعليمية والاسس الاجتماعية بشكل أعاق النهضة والتطور لاحقا في هذه الدول وكان لها أثر بارز في تشكيل النخب عبر وابة التعليم في المدارس الاستعمارية محاولة صقل هذه النخب في وعاء ثقافي لتؤثر فيما بعد على نشاطها السياسي والقيادي مع وجود مقاومة للتعليم الاستعماري في المجتمعات النامية التي حاولت التشبث بقيمها وثقافتها المحلية

2. الأصول التاريخية للنخبة السياسية الجزائرية ابان الاستعمار:

مع تواجد الاحتلال الفرنسي في الجزائر تمت إزاحة الزعامات التقليدية في المجتمع الجزائري والتي كان لها مكانة هامة قبل الاستعمار وحاول الاستعمار تنحيها ليفرض هيمنته على المجتمع الجزائري والتي

كان لها مكانة خاصة هامة قبل الاستعمار وحاول الاستعمار تنحيها ليفرض هيمنته على المجتمع الجزائري وحتى يزيل رموز الدولة الجزائرية وهويتها وأدى الى وجود قطيعة بين الاليات السياسية والاجتماعية التي تواجدت قبل الاستعمار وبعده وأدى الى بروز أنماط جديدة من النخب وفقا للواقع الجديد الذي فرضته ظروف الاستعمار.

ومن أبرز ما قام به الاستعمار الفرنسي هو محاربة المدارس والكتاتيب التي تعلم الأطفال قواعد الإسلام واللغة العربية فضلا عن نشر اللغة الفرنسية حيث يتم تنشئة المجتمع على اللغة والثقافة الفرنسية

1.2. الظروف العامة لتشكيل النخب الوطنية الجزائرية:

مع مطلع القرن العشرين شهد المجتمع الجزائري ظروفًا وتطورات مختلفة سواء على المستوى المحلي أو المستوى الدولي والذي لم يكن بمنى عنها وذلك من خلال مستويات مختلفة (رانجة، 2023، صفحة 15):

- **الوضع الاقتصادي:** لقد ساهمت فرنسا في تدهور الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الجزائري ورغم ذلك ظلوا متمسكين بأرضهم رغم قدراتهم المتواضعة ورغم تراجع ملكيتهم للأراضي الزراعية الخاصة والتدهور الشديد لثروتهم الحيوانية نتيجة تضيق الفرنسيين إضافة الى العوامل الطبيعية كالقحط والجفاف والضرائب التي أثقلت كاهل الجزائريين الذي كانوا يدفعون 46 بالمائة من الضرائب المباشرة مع انهم لا يملكون الى 36 بالمائة من ثروات البلاد.

- **الوضع الثقافي والاجتماعي:** كانت الأوضاع الثقافية والاجتماعية للجزائريين غير مختلفة عن الأوضاع الاقتصادية ولم تسجل تطورا ملحوظا فقد سجل سنة 1914 نسبة 4,3 بالمائة من الأطفال الجزائريين الذي يرتادون المدارس كما تخرج في نفس السنة 34 جزائري حاز على البكالوريا.

ومع ذلك كانت هناك بوادر مشجعة كظهور بعض الجرائد والصحف والتي مثلت نواة الصحافة الجزائرية كجريدة المصباح باللغتين العربية والفرنسية والتي تأسست سنة 1912 وصحيفة الإسلام في نفس السنة بالإضافة الى ظهور العديد من المؤلفات والتي سمحت بإحياء التراث الثقافي الجزائري وكذا ظهور الحركة الجمعوية مثل جمعية الرشيدية تأسست 1894 والجمعية التوفيقية سنة 1908.

- **الوضع السياسي:** مع مطلع القرن العشرين يمكننا تحديد وضع الساحة السياسية في الجزائر بتشكيل تيارين أساسيين يمثل التيار الأول المحافظين بينما التيار الثاني يمثل النخبة أو المجددين:

✓ **المحافظون:** وهم الذين يمثلون الشريحة الأوسع من المجتمع الجزائري والتي تهتم بالحفاظ على موروث المجتمع الجزائري من لغة ودين وكذا عادات وتقاليد كانت تدعو دائما الى استرجاع العمل بالقضاء

الإسلامي وإلغاء القوانين التعسفية وتعليم اللغة العربية وغيرها ونجد فيها العلماء والمرابطين والاعيان الاقطاعيين.

✓ النخبة (المجددين): والذين شكلوا مجموعات من الشباب المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذي عارضوا أفكار المحافظين واعتبروها حاجزا امام التقدم فقد تبنا فكريا وطرق عيش وثقافة أوروبية اهتموا بالمطالبة بالمساواة مع الأوروبيين وإلغاء قانون الأهالي والحصول على التمثيل النيابي

3.2. النخبة والوعي السياسي:

كان الشباب الجزائري يحاول الانخراط في الحياة السياسية مهما كانت بسيطة فقد مكنته ثقافته الرئيسية فضلا عن اصوله الجزائرية من التعاطي بالشأن الاجتماعي والسياسي فقد حاول التعبير عن احتياجات الجزائريين وإبراز ذلك من خلال بيانات وعرائض واعمدت الصحف وفي اللقاء مع الشخصيات السياسية الفرنسية والهيئات التمثيلية فظهروا كمجموعات مثقفين انخرطوا في الحياة السياسية العامة وان كانوا يمثلون حزبا او تيارا معيناً الا انهم استطاعوا التعريف بالقضية الجزائرية والهوية الجزائرية فقد شكلوا النخبة التي واصلت المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ومنذ 1892 بدأت حركة الشباب الجزائري تقوم بالاتصالات مع المسؤولين الفرنسيين لنقل انشغالات النخب الجزائرية.

وكان لهم نشاط ثقافي مميز وتم سنة 1904 انشاء جريدة المشعل وحاولوا من خلالها نشر أفكارهم التقدمية وتعلقهم بالشخصية الجزائرية، والتمسك بالتقاليد والقيم الإسلامية وقدمت هذه الحكمة سنة 1908 احتجاجا للحكومة قرار تجنيد الشباب الجزائري وكانت اهم الحقوق التي تمت المطالبة بها

- إلغاء قانون الانديجينا
- المساواة في دفع الضرائب
- المساواة في التمثيل السياسي بالمجالس المحلية والبرلمان الفرنسي

وبمرور الوقت اخذت حركة الشبان الجزائريين شكل حركة إصلاحية تسعى الى القيام بهضة عربية في الدول الإسلامية الا انها رغم ذلك لم تكن حركة جماهيرية قادرة على محاربة الاحتلال وانما كانت أداة سياسية ضاغطة تسعى الى تحقيق مكاسب إضافية للشعب الجزائري.

4.2. تشكل الحركة الوطنية والنخب في الجزائر:

ان تشكل النخب الوطنية في الجزائر وتشكيل ما يسمى الحركة الوطنية كان نتيجة حتمية للسياسات المنتهجة من المستعمر الفرنسي فكان توجه هذه النخب الى الدفاع عن الهوية العربية والإسلامية للشعب الجزائري وهي اما مكونة في المدارس الفرنسية او المعاهد والجامعات العربية والإسلامية وقد طالبت هذه النخبة بتحسين الظروف الاجتماعية وتحقيق المساواة مع الفرنسيين

فقد تكونت هذه النخبة في هذه المرحلة من ثلاث أطياف رئيسية هي:

- الوطنيون الثوريون: نجم شمال افريقيا، حزب الشعب.
- الإصلاحيون: جمعية العلماء المسلمون.
- الاندماجيون: احباب البيان، الحزب الشيوعي.

وقد شكلت هذه الاطياف اهم النخب الأيدولوجية المثقفة التي تبنت مشروع المجتمع الجزائري الذي ينقسم الى مطلبين أولهما يدعو الى الاستقلال يتبنى الفكر الإصلاحي داخل المجتمع والثاني يدعو الى الاستقلال يتبنى الفكر الإصلاحي داخل المجتمع والثاني يدعو الى الاندماج، لكن تأثير هذه النخبة الأخيرة لم يكن حسب تطلعات المجتمع لأنها كانت تميل الى الثقافة الغربية الأوروبية.

ورغم الاختلافات في المطالب والتوجهات والادوار والأيدولوجيات الا ان هذه النخب كانت مترابطة بفعل عالم القهر الاستعماري الذي لم يكن يستثني سواء التيار المحافظ او المجدد.

وبعد التأكد من فشل ومحدودية المشروع الاندماجي ومع تبعات واحداث الحرب العالمية الثانية والمجريات العالمية اخذت النخبة منى ثوريا وساندها المجتمع الجزائري بمختلف اطيافه وطبقاته والتحق بالمشروع الذي صاغ بيان اول نوفمبر كل النخب المثقفة والذي يمثل الأرضية المشتركة لمختلف وجات النظر في جميع النخب الجزائرية، كما ان معظم النخب التي فجرت الثورة التحريرية صاغت أيدولوجية خاصة صاحبت ظروف الحرب تميزت بأفكار النضال التي استوعت كل الاطياف المجتمع وتوحدت فيها كل التيارات الفكرية والأيدولوجية

3. النخب السياسية في الجزائريين اختلاف التوجهات وتوحد الصفوف

تميزت مرحلة النصف الأول من القرن العشرين بالانتقال من المقاومة المسلحة في النضال السياسي والذي دعم تشبعه بالثقافة واللغة الفرنسية والتعليم الفرنسي الا انه كان يمثل وعيا وطنيا بدا في الظهور والتطور والنضج في سيرورة العمل السياسي وتميزت هذه المرحلة بظهور الأحزاب السياسية التالية وذلك عبر مراحل (قصري، 2024):

1.3. الأحزاب والتوجهات السياسية:

- الحزب الإصلاحي: اسسه الأمير خالد سنة 1919 وكان هذا الحزب استمرارا لحركة الشبان الجزائريين ويعتبره المؤرخون اول حزب سياسي في الجزائر كما يعتبرون ان باقي الأحزاب السياسية التي برزت في الجزائر كانت امتدادا لحركة الأمير خالد والذي حاول توحيد صفوف المثقفين باللغة الفرنسية ويجعل منها حزبا وطنيا قويا يستمد نفوذه من الجماهير الكادحة ويعمل من اجل المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للجزائري للحفاظ على هويته الوطنية

- وحقق الأمير خالد انتصارات متتالية في الانتخابات مما دفع فرنسا الى التضييق عليه ثم نفيه سنة 1923 حيث استمر في النضال هناك وتواصل مع المهاجرين الجزائريين وكان مؤتمر الشمال الافريقي 1924 هو اول اجتماع هام يتم عقده حضره الأمير خالد وكان له صدى كبير في نفوس الجزائريين المغتربين حيث جاء قرار انشاء حزب نجم شمال افريقيا الذي لعب دورا محوريا في الحياة السياسية الجزائرية
- **حزب نجم شمال افريقيا:** تأسس سنة 1926 تكون أساسا من مواطني شمال افريقيا المقيمين في باريس للدفاع عن مصالحهم الاجتماعية والسياسية وكان اكثرهم من العمال الجزائريين أسندت رئاسته الى مصالي الحاج سنة 1927، ضم الحزب تيارين أساسيين تبني التيار الأول المسالة الوطنية وتحقيق الاستقلال عبر كفاح الطبقة العمالة وتوجهه اشتراكي بينما التيار الثاني والذي يمثله مصالي الحاج يدعو الى المساواة بين الفرنسيين والجزائريين والحصول على الحريات الأساسية وتم حل الحزب سنة 1937
 - **الحزب الشيوعي الجزائري:** والذي يعتبر سليل الحزب الشيوعي الفرنسي أسس سنة 1936 وكان له توجه اندماجي ولم يلقى تجاوبا كبيرا لدى الجزائريين نظرا لتأييده للوحدة مع فرنسا كما لم يكن له اهتمام بالهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري
 - **حزب الشعب الجزائري:** يعتبر امتدادا لحزب شمال افريقيا أسس سنة 1937 بباريس وانتخب مصالي الحاج رئيسا له اتسم هذا الحزب بحسن التنظيم والانتشار في كافة الجزائر وساهم مساهمة بالغة في نشر الوعي لدى المجتمع الجزائري كما ساهم في نضج الحركة الوطنية وأصدرت السلطات الفرنسية امرا بحله سنة 1939 وواصل عمله في السر
 - **جمعية احباب البيان وأصدقاء الحرية:** بزعامة فرحات عباس الذي نجح في توحيد صفوف الأحزاب الجزائرية وبدا العمل لتوسيع قاعدة حزبه في الأوساط الشعبية وإصدار جريدة المساواة للدفاع عم مواقفه المناهضة للاندماج بعد ان كان مدافعا عنه سابقا لكن تم حله بعد احداث 8 ماي 1945 والنفي بالقبض على فرحات عباس.
 - **الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:** تأسس سنة 1946 بقيادة فرحات عباس وذلك بعد خروجه من السجن معلنا فيه عن برنامج جديد مطالب فيه بالاستقلال الذاتي بدل الانفصال لكن ورغم هذا الاعتدال الا ان الحزب لم يلقى استجابة فعلية من فرنسا.
 - **حركة انتصار الحريات الديمقراطية:** بعد خروج مصالي الحاج من السجن 1946 أعاد تنظيم حزبه المحل حزب الشعب باسم جديد هو حركة أنصار الحريات الديمقراطية وشهد خلافا شديدا بين مؤيد العمل الثوري والقيام بالثورة المسلحة ومؤيدي مصالي الحاج الذي يرى ضرورة التأقلم مع واقع الاحتلال ومواصلة العمل السياسي والمشاركة في الانتخابات، وبقي الخلاف الى عقد المؤتمر التوفيق في 15 فيفري 1947 والذي خرج بالقرارات التالية:

- ✓ مواصلة النشاط السري لحزب الشعب سابقا
- ✓ انشاء مؤسسة عسكرية سرية -المنظمة الخاصة-
- ✓ مواصلة النشاط العلني القانوني.
- الجبهة الجزائرية المشتركة للدفاع عن الحريات واحترامها: شكلت سنة 1951 من جميع الحركات والأحزاب الجزائرية الا ان الجبهة المشتركة بحكم تباين اتجاهاتها وايدولوجيتها وأهدافها سرعان ما فشلت في حلها
- اللجنة الثورية للوحدة والعمل: تأسست مارس سنة 1954 واكد بيانها التأسيسي على الالتزام بالمحافظة على الحزب حركة الانتصار والحريات الديمقراطية والدعوة الى إقامة مؤتمر لحل الخلافات القائمة والتي ما بادت تزداد وحلت هذه اللجنة في جويلية 1954 إثر تعذر قيامها بمهامها والبدا بالتحضير الى الثورة التحريرية
- جبهة التحرير الوطني: نتيجة لازمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية وبروز الطرح الثوري كان ميلاد جبهة التحرير الوطني حيث اجتمعت مجموعة الستة يوم 20 أكتوبر 1954 وخلصت الى تسمية جبهة التحرير الوطني في الجانب السياسي وجناحها العسكري: جيش التحرير الوطني وسميت بالجبهة لأنها كانت تضم كل الجزائريين وهدفت الى حل إشكالية تحقيق الوحدة الشعبية في ظل تيارات سياسية
- مختلفة الطرح السياسي والاجتماعي والأيدولوجي واكد من خلال بيان 01 نوفمبر ان الثورة ليست ثورة حزب وانما ثورة الشعب بأسره

2.3. السياسة الاستعمارية وإنتاج النخب في الجزائر:

يبرز لنا التاريخ وبشكل واضح السياسة الاستعمارية المنتهجة وأثرها على النخب الجديدة في المجتمع الجزائري والتي كانت تهدف من خلاله الى خدمة مختلف السياسات والمخططات التي تضعها وذلك خاصة من خلال المنظومة التعليمية الجزائرية وما تعرضت له.، وكذا الأنظمة الاجتماعية ونظام الملكية فكانت النتيجة هو افقار ثقافي ومادي تعرض له المجتمع الجزائري ونجد هنا موريل يحلل دور المدرسة الفرنسية " يمكن التفريق بالنسبة للنخبة المكونة في المدرسة بين فئتين: العامة من التلاميذ الذين لم تسمح لهم ظروفهم الاجتماعية من الاستفادة من الامتيازات ولكن هذه الفئة حاولت على الأقل تحسين ظروف عملها كما ان نظرتها الى العالم صارت اكثر تطورا وهناك فئة أخرى تمثل "نخبة النخبة" وهي منحدره خصوصا من التعليم الثانوي او العالي والذي يحدث لها في بعض الأحيان ازمة ضمير وحيانا تدخل العمل السياسي (هميسي، 2013، صفحة 158).

فقد استوعب الاستعمار الفرنسي ان احتواء المجتمع الجزائري لا يكون الا بزعة الهياكل القاعدية التي يعتمد عليها في تماسكه وهي أساسا الزوايا والمساجد (Burget، 1988، صفحة 60) فحاولت فرنسا ان تقيم مؤسسات جديدة للتنشئة الاجتماعية فكانت عملية التعليم والتكوين الاجتماعي والثقافي قد احتلت موقعا هاما في السياسة الفرنسية وكان لها دور كبير في تكوين قيم من النخبة في الجزائر.

فحاولت المدرسة الفرنسية نشر الثقافة والقيم الفرنسية وكان هدف المستعمر ليس هو تكوين مثقفين كبار بوسعهم التمتع إزاء القضايا المركزية للمجتمع الجزائري بقدر ما كان الهدف هو انتاج مثقفين متوسطي التكوين يقومون بنوع من الوساطة بين الإدارة الاستعمارية والأهالي.

من ناحية أخرى لعبت جمعية العلماء المسلمين بقيادة عبد الحميد بن باديس والابراهيمي دورا هاما في تعليم وتكوين الجزائريين - في حدود 75 ألف طالب حسب شهادة الابراهيمي (الابراهيمي، 1971، صفحة 22).

وقدمت هذه المدارس الثقافة الدينية الإسلامية واللغة العربية واستطاعت ان تحافظ على مقومات المجتمع الجزائري من لغة ودين وهذا ما نتج عنه وجود نخب مختلفة في اتجاهين ولغتين ومنطقتين مختلفين شهد بعد ذلك صراعا ثقافيا وفكريا ينتقد فيه كل طرف الآخر.

فكانت السياسة الفرنسية تتجه الى محاولة ادماج النخبة ومنحها حقوقا لا يتمتع بها باقي الجزائريين وهذا ما كان الهدف منه هو الاعتماد على هذه النخبة كداعم لها ولو ان هذه السياسات كما رأينا سابقا أدت الى وجود تيارين نخبيين مختلفين (المحافظين- والمجددين او المصلحين) الا انه في النهاية ظهر فشلها في ان النخبة بقيت جزائرية اصلية وانتهى بها المطاف الى التوحد في صفوف واحدة الا ان من الجدير بنا التأكيد ان الدفاع على هوية الجزائريين كان في صفوفه الأولى العمال والفلاحين والطبقات الضعيفة.

فكانت المبادرة الأساسية التي زرعت ما أثمر الى الخروج من الظاهرة الاستعمارية، كانت مبادرة هذه المجموعة الأخيرة والتي لم تدخل الجامعات، ويشير بارفيل الى ان فرنسا فشلت في سياسة عزلة النخبة فحتى من كانوا ينادون بالحقوق المدنية والاندماج انظموا فيما بعد للثورة التحريرية وكانوا وجوها قيادية فيها (Pervillé، 2002، صفحة 159).

والملاحظ على النخبة السياسية في الجزائر انها كانت متنوعة وذلك منذ بدا العمل السياسي وكلما كان التعليم عاليا والمكانة الاجتماعية قوية كان الاتجاه أكثر نحو المهادنة او المسالمة للظاهرة الاستعمارية واتجهت المطالب لان تكون غير ثورية وغير استقلالية وبالتالي فنظرة النخبة للاستعمار كان فيها تنوع اثر فيها الوعاء الثقافي والخلفية الاجتماعية وطبيعة المصالح الموجودة وهذا يحدد علاقة هذه النخب بالمستعمر والمجتمع والنظرة للدولة والوطن.

4 الخاتمة:

وفي الختام، يتبين أن النخب السياسية في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي شكّلت عنصراً محورياً في مسار التحول التاريخي للمجتمع الجزائري، إذ كان لها دور بارز في بلورة الوعي السياسي والوطني، رغم اختلاف توجهاتها وتباين مواقفها من المشروع الاستعماري. فقد أفرزت الظروف الاستعمارية نخبة متعددة المشارب، تراوحت بين الإصلاح والاندماج والمقاومة، وهو ما يعكس تعقّد الواقع السياسي والاجتماعي في الجزائر آنذاك.

كما أسهمت هذه النخب، على اختلاف مرجعياتها الفكرية وأساليب عملها، في تهيئة الأرضية الفكرية والتنظيمية لاندلاع الحركة الوطنية ثم الثورة التحريرية، سواء عبر النشاط السياسي، أو العمل الثقافي والإصلاحي، أو النضال الثوري المباشر. ورغم ما واجهته من قيود وقمع واستبعاد من طرف السلطة الاستعمارية، فإنها استطاعت أن تفرض حضورها كفاعل أساسي في مسار التحرر الوطني. وعليه، فإن دراسة النخب السياسية في الجزائر خلال فترة الاستعمار لا تكتسي أهمية تاريخية فحسب، بل تساهم أيضاً في فهم جذور الدولة الوطنية الجزائرية، وآليات تشكّل الفعل السياسي، وتطوّر النخب بعد الاستقلال، مما يجعل هذا الموضوع مجالاً خصباً للبحث والتحليل في الدراسات التاريخية والسياسية.

وبالعودة إلى الفرضيات المطروحة للتحقق من صحتها نجد أن:

الفرضية الأولى:

- كان للاستعمار الفرنسي دور أساسي في بناء النخب السياسية في الجزائر.

نجد أن هذه الفرضية صحيحة لكن إلى حد معين فقط فقد كان للاستعمار الفرنسي دور كبير في تشكيل النخب السياسية الحديثة في الجزائر والتي حددت معالم الحياة السياسية في الجزائر لاحقاً، إلا أنه يلاحظ عليها أيضاً أنه وفي جزء لا يستهان به كانت متشعبة بالقيم الاجتماعية والدينية الجزائرية ووليدة المجتمع الجزائري بخصوصياته.

الفرضية الثانية:

- نجح المستعمر الفرنسي في استغلال النخب السياسية لمساندة مشاريعه وسياساته الاستعمارية في الجزائر.

بالنسبة لهذه الفرضية فقد تأكد لنا أنها فرضية خاطئة تماماً ففي الأخير وقبيل اندلاع الثورة التحريرية توحدت النخبة السياسية في الجزائر بمختلف توجهاتها ومشاربها لتكون أولاً وأخيراً ضد المستعمر الفرنسي وضد وجوده وسياساته المتبعة.

حيث خلصت هذه الدراسة إلى أن النخب السياسية في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي لم تكن كياناً موحدًا أو ثابتاً، بل تشكلت ضمن سياق تاريخي اتسم بالتعقيد والضغط الاستعماري، ما أدى إلى تنوع توجهاتها الفكرية والسياسية بين الإصلاح والاندماج والمقاومة الثورية. وقد تأثر تشكيل هذه النخب بعوامل متعددة، أبرزها السياسات الاستعمارية، والتحوللات الاجتماعية، ودور التعليم، إلى جانب التفاعل مع التيارات الفكرية العالمية.

وأظهر التحليل أن هذه النخب، رغم اختلاف مساراتها، أسهمت بشكل فعال في رفع مستوى الوعي السياسي والوطني لدى المجتمع الجزائري، ومهدت لظهور الحركة الوطنية المنظمة، وصولاً إلى الثورة التحريرية التي مثلت تنويعاً لمسار طويل من النضال السياسي والفكري. كما يتضح أن فشل بعض النخب في تحقيق أهدافها الإصلاحية داخل الإطار الاستعماري ساهم في ترسيخ القناعة بضرورة الكفاح المسلح كخيار حتمي للتحرر.

وانطلاقاً من هذه الاستنتاجات، توصي الدراسة بضرورة توسيع البحث في موضوع النخب السياسية الجزائرية خلال فترة الاستعمار، من خلال:

- تعميق الدراسات المقارنة بين مختلف التيارات السياسية لفهم نقاط الالتقاء والاختلاف بينها.
 - التركيز على دور النخب الثقافية والدينية إلى جانب النخب السياسية في تشكيل الوعي الوطني.
 - الاهتمام بدراسة المسارات الفردية لرموز النخب السياسية وتحليل تأثيرها في مسار الحركة الوطنية.
 - إعادة قراءة التجربة السياسية للنخب الاستعمارية في ضوء التحولات التي عرفت الجزائر بعد الاستقلال.
 - تشجيع الاعتماد على المصادر الأرشيفية والشهادات التاريخية لتعزيز الموضوعية والدقة العلمية في البحث.
- وفي الأخير، يبقى موضوع النخب السياسية في الجزائر خلال فترة الاستعمار مجالاً غنياً بالأسئلة والإشكالات، لما له من أهمية في فهم التاريخ السياسي الجزائري واستيعاب جذور الممارسة السياسية المعاصرة.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- الأبراهيمي، البشير، (1971)، *عيون البصائر*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- الحسيني، فرقان، (2025)، *القوة الناعمة وأثرها في صناعة الاستعمار*، مجلة *الاستعمار*، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 05.

- بورديو، بيير، (2002)، *محاولات اتجاه السوسيولوجيا*، ترجمة: احمد حسان، دار ميريث للنشر والمعلومات، القاهرة.
- تومي، ام الخير، (2013)، *ازدواجية النخبة في الجزائر*، سلسلة كتب المستقبل العربي: الجزائر إشكاليات الواقع ورؤى المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- رانجة، زكية، (2023)، *المرجعية السياسية والتاريخية للحركة الوطنية الجزائرية*، السياق السياسي للدولة الجزائرية، الاصاله للنشر، الجزائر.
- كان، عبد الرحمان، (2021)، *صناعة النخب الافريقية في ظل نظام التعليم الاستعماري*، دراسات افريقية، <https://ar.afrikatrends.com>
- عباس، عائشة، (2024)، *الدولة والنخبة*، النخبة وبناء الدولة الجزائرية، الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر.
- قصري، فريدة، (2024)، *الأصول التاريخية للنخبة الجزائرية ما قبل الاستقلال*، النخبة وبناء الدولة الجزائرية، الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر.
- هميسي، مصطفى (2013)، *كيف تحكم الجزائر*، دار هومة، الجزائر.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Burget, François, (1988), *L'islamisme au Maghreb : la voix du sud*, Karthala, Paris.
- Pervillé, Guy, (2002), *Pour une histoire de la guerre d'Algérie*, Picard Ed, France.